للكلمة ، يعود الى بداية القرن التاسع عشر وكنتيجة لاحتكاك العرب بالفرنسيين . ان ممثلي هذا الوعي كانوا قلة اقتصرت على المسيحيين المتعلمين في البداية . ثم يبحث دروزة في اثر البعثات التبشيرية المسيحية على احياء اللغة العربية وقيام حركة الجامعة الاسلامية والدور الذي لعبته الجمعيات الادبية والسياسية في الاثارة الوطنية وانتشار الوعي القومي بين المسلمين العرب .

دافع دروزة عن الرأي القائل بأن الحركة الوطنية المصرية والسورية في القرن التاسع عشر كانتا متصلتين مع بعضهمابقوة لان القومية العربية في النصف الثاني من القرن تدين بالشيء الكثير الى اللاجئين السياسيين السوريين . والفترة الوحيدة التي اظهرت فيها الحركة الوطنية المصرية لامبالاة نحو المشاعر العروبية كانت في العقد الذي سبق الحرب العالمية الاولى والعقد الذي تلاها .

اكد دروزة على الاثر الكبير الذي تركته الثورة العربية اثناء الحرب العالمية الاولى على الحركة القومية . ورأى بصدق انها كانت اول محاولة كبيرة من جانب العرب لتحقيق طموحهم القومي ورأى في قادتها وبشكل خاص فيصل رمزا للقومية العربية . ويعتقد ان الثورة كانت مهمة للحركة وذلك بسبب ما حققته وما عجزت عن تحقيقه على السواء. فهي قد قوت الوعي القومي بين العرب من ناحية، ومن ناحية اخرى كشفت ضعفهم الذي ادى الى تجزئة العالم العربي السياسية بعد الحرب العالمية الاولى . وهو لذلك دعا الى بعث المجتمع العربي وذلك بأخذ افضل ما عند الغرب دون أن تترك التقاليد العربية الاسلامية . ولكي ينجح العرب يجب ان يكون لهم كيان سياسي مستقل يعيش فيه كل العرب ، من مسلمين ومسيحيين ويهود بشكل متساو(٦).

بالنسبة الى فلسطين يتفق دروزه مع اراء كل المؤرخين العرب : ان الوحدة العربية هي افضل جواب للتهديد الصهيوني . ان دولة عربية كبيرة موحدة ستصون الشخصية العربية لفلسطين : سيصبح اليهود اقلية ليست ذي شأن في الدولة الجديدة ويمكن امتصاصهم مع الزمن(٧). ولم يغير من موقفه حتى بعد قيام اسرائيل ، ان الوحدة العربية ستساعد على احتواء اليهود في المكان الذي احتلوه ويمكن ان تؤدي الى امتصاص الدولة اليهودية نهائيا في كيان عربي اكبر(٨).

وبينما شدد دروزه على الاتجاهين الاسلامي والعروبي في التاريخ فان معظم المؤرخين الفلسطينيين كانوا عروبيين وحاولوا أن يغرسوا في الشباب العربي حبالاجيال السالفة وان يثيروا فيهم الرغبة لبناء عالم عربي جديد على غرار الصورة الماضية . ان ذلك لا يصح الى فلسطين وحدها وانما كان مظهرا عاما للنهضة الثقافية في كل البلاد العربية . فساطع الحصري وهو من أشهر المؤرخين العرب ، يؤكد بحق ان كل المؤرخين العرب كانوا مدفوعين بوعي قومي للمشاركة بالافتخار بأمجاد الماضي والاحزان المشتركة التي تسببها بحق الحاضر(٩). وحاول بعض المؤرخين الفلسطينيين أن يثيروا ذلك الاعتزاز من خلال تقدم العرب في مجال العلوم وحاول اخرون ان يبحثوا في مساهماتهم في حقل الهندسة والبناء .

عكس قدري طوقان في كتاباته العزة التي شعر بها العرب بفضل اسهام اسلافهم الكبير في المعرفة العلمية التي تتمتع بها أوروبة في الوقت الحاضر. وشكل هذا الاسهام موضوع كتابه **تراث العرب العلمي**(١٠). ودفعت جودة الكتاب الدائرة الثقافية في جامعة الدول العربية الى ان تعيد نشر الكتاب على نفقتها في عامي ١٩٥٤ و١٩٦٣ . يبدأ طوقان بدراسة العوامل الكامنة وراء النهضة الثقافية العربية في القرنين التاسع والعاشر . وبرأيه فان أول هذه العوامل كان الاهمية التي يعطيها الاسلام للثقافة والمعرفة ، اذ أن القرآن والسنة يؤكدان على ضرورة الثقافة ويطلبان من المسلم أن يبحث عن المعرفة في اي مصدر ممكن. وبينما كانت الرغبة في المعرفة والبحث عن التحسن الثقافي علامة تقوى